

أعضاء البيان

@ 15 @ : واعلم : أن العرب تستعمل جاء وأتى بمعنى : فعل ، فقولہ : { فَقَدَ دُجَاءٌ وَ

طُلُومًا } ، أي : فعلوه ، وقيل : بتقدير الباء ، أي : جاءوا بظلم ، ومن إتيان أتى
بمعنى فعل قوله تعالى : { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُغُونَ بِيَمَا أَلَوْا } ، أي
: بما فعلوه . وقول زهير بن أبي سلمى : % (فما يك من خير أتوه فإنما % توارثه آباء
آبائهم قبل) % .

وأعلم بأن الإفك هو أسوأ الكذب ، لأنه قلب للكلام عن الحق إلى الباطل ، والعرب تقول : أفكه بمعنى قلبه ، ومنه قوله تعالى في قوم لوط : { وَالْمُؤْذِفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ } ، وقوله : { وَالْمُؤْذِفِكَاتِ أَهْوَى } ، وإنما قيل لها مؤتفكات ؛ لأن الملك أفكها ، أي : قلبها ؛ كما أوضحه تعالى بقوله : { جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا } . { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبْنَاهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهٖ بُكُورَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا } . ذكر جلّ وعلا في الأولى من هاتين الآيتين أن الكفار ، قالوا : إن هذا القرآن أساطير الأولين { ، أي : مما كتبه ، وسطره الأولون كأحاديث رستم واسفنديار ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم جمعه ، وأخذه من تلك الأساطير ، وأنه اكتتب تلك الأساطير ، قال الزمخشري : أي كتبها لنفسه وأخذها ، كما تقول : استكتب الماء واصطبّه إذا سكبّه وصبّه لنفسه وأخذه ، وقوله : { فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهٖ } ، أي : تلقى إليه ، وتقرأ عليه عند إرادته كتابتها ليكتبها ، والإملاء إلقاء الكلام على الكاتب ليكتبه ، والهمزة مبدّلة من اللام تخفيفاً ، والأصل في الإملاء الإملال باللام ، ومنه قوله تعالى : { فَلَا يَكْتُوبُ وَلَئِيْمٌ لِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ } . . .

وقوله : { بُكْرَةً وَأَصِيلًا } ، البكرة : أوّل النهار ، والأصيل : آخره . .
وما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية من أن الكفّار ، قالوا : إن القرءان أساطير الأولين ،
وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم تعلمه من غيره ، وكتبه جاء موضحاً في آيات متعدّدة ؛
كقوله تعالى : { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوَؤُ
نَشَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِن هَٰذَا إِلَّا سَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } . .
وقد ذكرنا آنفًا الآيات الدالّة على أنهم افتروا عليه أنه تعلّم القرءان من غيره ،
وأوضحنا تعذّبتهم ، وكذبهم في ذلك في سورة (النحل) ، ودلالة الآيات على ذلك في الكلام

على قوله تعالى : { لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ } ، فأغنى ذلك
عن إعادته هنا .